



جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
دكتوراه إسلامي
المادة: منهج البحث

المحاضرة الأولى

ماهية التاريخ - تعريف التاريخ - فائدته - صفات المؤرخ

أ.د. قيس فاروق صالح

٢٠٢٦ / ٢٠٢٥

١- ماهية التاريخ : التاريخ هو دراسة الحوادث، أو هو الحوادث نفسها، والحوادث جمع حادث، والحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر، وكل ما يطرأ من تغيير على الأرض متصلًا بحياة البشر. وإذا كان التاريخ في حقيقته و الحوادث، وكانت الحوادث هي التغيرات، والتغيرات وليدة الزمان وانتهينا إلى أن التاريخ هو الزمان . والتاريخ هو وعاء الخبرة البشرية، هو العلم الناس بالجهود البشرية، أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة على الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي، وتستشف منه جهود المستقبل . وقد يحدث الظن أن التاريخ هو الماضي أو الأحداث التي طواها الزمن في طياتها، ولم تعد تهمنا في قليل أو كثير. وليس هذا بصحيح، فالتاريخ يشمل الماضي والحاضر والمستقبل معاً، ولا يمكن الفصل بينهم، بل هو بالضبط وحدة لا تتجزأ، كالنهر الدفاق المياه ، المتلاحق الأمواج، لاتجد في تياره فجوة، ولاترى بين أمواجه ثغره . ويرى المؤرخ راوس أن التاريخ يبحث في المجتمع الإنساني وفي حكايته وكيف أصبح الإنسان كما هو الآن. ويقول السير تشارلز فيرث عن التاريخ: «التاريخ شيء لايسهل تعريفه، ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات وللظروف المادية التي ساعدت او عاقت تطورها، . ويعتبر ابن خلدون أول من أشار صراحة إلى فكرة لتاريخ في مقدمته بقوله: ((وفي باطنه نظر وتحقيق، وتطيل للكائنات ومبانيها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو أصيل في الحكمة عريق، ، والحكمة في المفهوم العربي هي أعلى مراتب العلم)) وفي رأي كثير من المؤرخين . مثل المؤرخ السخاوي أن التاريخ بالأولى هو كيان الأمم، فلا توجد أمة أو دولة إلا ولها تاريخ يرجعون إليه ويعولون عليه، ينقلها خلفها من سلفها، وحاضرها عن غابرها، ولولا ذلك لانقطع الوصل، إذ النظرة السليمة تستشرف إلى معرفة البدائيات، وتشربت إلى إدراك المنشئات. وهناك من عرف التاريخ بأنه فرع عظيم من فروع المعرفة، وكتابته فن قديم العهد، وكل فرد يعرف ما هو التاريخ، فكلمة التاريخ مألوفة لديه، ويعرف تماما ما تعنيه، والتاريخ يتعامل مع أفكار، وأعمال الرجال والنساء الذين عاشوا في الأزمنة الماضية، وكلنا يعرف أن التاريخ يرقد خلفنا مثل بلد متعرج وغير مسلو، ومن الصعب الاستدارة والعودة لهذا البلد .

أصل كلمة التاريخ وتعريفها : وقد اختلفت الآراء في تفسير كلمة تاريخ وأصلها. ففي اللغة العربية يقول المؤرخ السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: التاريخ في اللغة هو الاعلام بالوقت , يقال أرخت الكتاب وورخته اي بينت كتابته ، قال الجوهري التاريخ تعريف الوقت، والتورخ مثله يقال أرخت وورخت، وقيل اشتقاقه من الأرخ بفتح الهمزة وكسرها، وهو الأنثى من بقر الوحش، لأنه شيء حدث كما يحدث للمولد. وقد فرق الأصمعي بين اللغتين، فقال: بنو تميم يقولون ورخت الكتابة تورخا، وقيس تقول أرخته تأريخا، وهذا يؤكد كونه عربيا، وقيل إنه ليس بعربي محض بل هو معرب مأخوذ من «ماه روز، بالفارسية، ماه القمر وروز اليوم (ومعناها حساب الشهور والأيام) ، قال أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرب من الكلام الأعجمي: «يقال إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وإنما أخذه المسلمون من أهل الكتاب، وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة، كتب

في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخاً إلى اليوم، ، والواقع أن الذين رجعوا هذا التأويل قد اعتمدوا على رواية في نشأة التقويم الإسلامي تقول أن سبب وضع التاريخ الهجري أن أبا موسى الأشعري كعب إلى عمر رضي الله تعالى عنه يقول: إنا قد قرأنا صكاً من الكتب التي تأتينا من قبل أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، وكان محله شعبان فما ندرى أي الشعبانين هو: الماضي أو الآتي؟ فجمع أعيان الصحابة واستشارهم فيما تضبط به الأوقات، وكان فيهم ملك أهواز إسمه الهرمزان وقد أسلم على يده حين أسر، فقال له: إن لنا حساباً نسميه «ماه رون أي حساب الشهور والأعوام، وشرح كيفية استعماله، فأمر عمر بوضع التاريخ، فاستقر رأيهم على تعيين يوم من أيامه عليه الصلاة والسلام لذلك، فجعل مبدأ الهجرة من مكة إلى المدينة إذ بها ظهرت دولة الإسلام. وإذا صحت هذه الرواية في تحليل نشأة التقويم الهجري عدد المسلمين، فلا يقتضى ذلك بالضرورة علاقة لغوية متكلفة وغير واضحة بين «ماه روز الفارسية ومؤرخ، العربية. وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه الخراج، تاريخ كل شيء آخره ووقته الذي ينتهي إليه في شرف قومه كما قال المطرزي وذلك بالنظر لإضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوها إليه، وإما لكونه ذاكراً للأخبار ومشاكلها. ويبدو أن أصول كلمة التاريخ مستمدة من الكلمة السامية التي تسمى القمر أو الشهر، وهي في الأكادية (أرخو) وفي العبرية (يرخ) ، وهذه الكلمة لم تستعمل في العربية. فأما استعارة العربية لهذه الكلمة من الأكاديمية فبعيد الاحتمال، كما وأنه ليس من المحتمل الافتراض أنها استعيرت مباشرة من العبرية أو الآرامية، وخاصة لوجود حرف (ي) في الصورة العبرية والآرامية لهذه الكلمة. لذا لم يبق بعد هذا إلا العربية الجنوبية والأثيوبية، أو الافتراض بأن هذه الكلمة كانت مستعملة في إحدى اللهجات العربية الشمالية التي لا نعرفها الآن. إن كلمة تاريخ هي ليست الشكل البسيط للجذر، بل هي صيغة الاسم التي توجد في اللغة العربية والعربية الجنوبية، وهذا غير موجود في الأثيوبية، مما يجعل احتمال اشتقاقها من الأثيوبية، بعيداً، ثم إنه يبدو أن العرب أخذوها كتعبير فني، وهذا بدوره يبعد أصلها الأثيوبي إذ لو كان أصلها أثيوبياً لكانت باقية في لغتهم، يضاف إلى ذلك أن احتمال كون أصلها من العربية الشمالية بعيد . وأغلب الاحتمال أن أصل كلمة تاريخ من العربية الجنوبية، فمما لاشك فيه أن عرب الجنوب اهتموا بأمر التوقيت لعوامل عديدة، منها الزراعة التي تخضع لتقلبات الجو وتبدل المواسم، ومنها الأعياد والشعائر الدينية التي لها ارتباط وثيق بضبط الأوقات، ومنها التجارة في البر والبحر، وقد ورد لفظ أورخ، في نقوش العربية الجنوبية، وجمعها أورخم بمعلي الشهر القمري .

فائدته :

١. للتاريخ دور كبير في التوعية القومية، نرى أن دراسة وقراءة التاريخ تقوى اعتزاز المواطن بتاريخ وأمته، وفي هذه الحالة يكون التاريخ مصدر الهام رئيسي لعمل الإنسان وابداعه وتضحياته.
٢. يفيد التاريخ أيضاً من الناحية الأخلاقية في توسيع مدارك الناس تعويدهم على الانصاف في الحكم، وهناك من يرى أن الفائدة الأخلاقية هي أكثر أهمية مما تجعل للتاريخ قيمة من حيث التربية وترفع مستوى الأخلاق.

٣. التاريخ يساعد ايضاً على تكوين حوافز وقيم لدى الناشئة من ابناء الوطن ،بما يبثه فيهم من توعية قومية تجعلهم يحيطون إحاطة تامة بتاريخ امتهم ويعتزون بتراثها الحضاري والانساني.

٤. فالمعرفة التاريخية إذا ضرورية لرجال السياسة فهي التي تضمن لهم نجاحهم في اعمالهم ،لأنها تزودهم بخلفيات تطور وموافق الأمم التي يتعاملون معها .

٥. فالتاريخ يعد من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية ،ويستخدم التاريخ إذا ما احسنت دراسته وتدريبه اداة لتعليق وترسيخ الوحدة الوطنية بما يحتويه من امثلة ،كما يمكن ان يعد وسيلة للنضال ضد القوى المعادية للامة .

وأخيراً أقول للبعض من يقلل من شأن التاريخ التاريخ علم عظيم ولولا التاريخ لما وصلت إلينا جميع الاخبار والعلوم ،ولم يكن لكل العلوم أن تصل الى ما وصلنا إليه الآن فكل مالدينا الآن هو بفضل التاريخ الذي جسد كل المآثر والبطولات والأخبار التي نقلت إلينا بكل أمانة ،وهي بالنتيجة وصلت بواسطة التاريخ ،لذلك أقول لا يقلل أي كان من شأن أي علم فكل العلوم لها فضل علينا ،ولو أخذنا بأهمية التاريخ لما وصلنا الى ما وصلنا إليه الآن من حروب وتكالب الاستعمار علينا ، فالتاريخ كله عبر ودروس ولا بد من الاستفادة من هذه العبر والدروس .

صفات المؤرخ: يتضح مما تقدم أهمية التاريخ وضرورة دراسته لما له من فوائد لا تنكر من حل الكثير من مشاكل الحاضر المستقبل، فكيف يجب ان يدرس ويدرس التاريخ وما هو دور المؤرخ في هذا المجال؟ أو بالأحرى كيف يجب ان يقدم هذا التاريخ الى الاجيال؟ الواقع ان المهمة تقع بالدرجة الاولى على مسؤولية الذين يكتبون التاريخ ولكن هل يمكن ان نسوي كل من امسك قلمًا

وحاول الكتابة في التاريخ مؤرخا؟ يتصور بعض الناس أنهم يكتبون التاريخ طالما امسكوا بالقلم والقرطاس وسطروا الصفحات عن الاحداث الماضية وقد ينجح هؤلاء في ان يقدموا بعض الكتب والكراريس. ويمثلوا رفوف المكتبات بالغث من المعلومات التي لا يمكن بحال من الاحوال ان ترقى الى الحقائق التاريخية لان المؤرخ الحق الجيد لا يمكن ان يؤدي واجبه وعمله على الوجه الاكمل الا إذا توفرت فيه صفات ضرورية تجعله قادرا على دراسة التاريخ وكتابته على أكمل وجه وبصورة قريبة أو مطابقة للواقع.

١- ان اول الصفات التي يجب توفرها لدى جميع الدارسين سواء كانوا مؤرخين أم غير مؤرخين هي حب المعرفة والصبر على تحصيلها، والجد والمثابرة في البحث والعمل، مهما كانت الصعوبات والمشاق التي تقف في سبيله ولا يجوز أن تكون ندرة المصادر او غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها واضطرابها، عائقا إمام رغبته الجامحة في البحث عن الحقيقة وينبغي على المؤرخ، كما يرى حسن عثمان. " ان يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد لآخر في وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يقيدده. وينبغي عليه الا يتسرع أو يقتضب تعجلا لنيل منفعة، لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية " فالجد والمثابرة مزية في كل بحث علمي وهي مطلوبة بشكل

خاص في البحث التاريخي لان الباحث المنتج هو الذي يروض نفسه على العمل الشاق المستديم وعلى الابتعاد عن الجلبة والضوضاء وعلى الصبر على ما يثيره البحث احيانا في النفس من شعور بالوحشة والغربة نتيجة لما تطلبه ظروفه من وحده وانزواء وتأمل.

٢- ويجب أن تتوفر للمؤرخ مزية الشك والنقد، فلا يجوز له ان يقبل كل الكلام او يصدق كل رواية أو أية وثيقة أو مصدر دون درس وفحص واستقراء، وقد بدأ التاريخ يتخذ فعلا صفة علمية منذ أن اخذ رجاله يشكون في الروايات التي نقلت إليهم بالسماع أو الكتابة، ومنذ أن عمدوا الى نقد رواياتها وحاولوا امتحان مضمونها ومهمة المؤرخ هنا تشبه كل من مهمة المحقق والقاضي فالأول يستنطق الشهود وجمع شهاداتهم وينقدها من اجل التوصل الى الحقيقة قبل اصدار الحكم ولا يستطيع كل من الاثنين ان يؤدي مهمته على وجهها الصحيح، إذا لم يأخذ هذه الروايات والشهادات بالشك والتحفظ، ولكن هذه الاصول القضائية مع ذلك ارحم من الاصول التاريخية كما يرى قسطنطين زريق لان المتهم برئ حتى تثبت ادانته في القضاء، ولكن في التاريخ الاتهام هو الاصل فكل نص مشكوك فيه الى ان تثبت صحته، وكل رواية متهمة الى ان يقوم الدليل على صحتها ولا يمكن للمؤرخ أن ينجز عمله ،اذا لم يكن يتمتع بملكة النقد والشك ، لأنه يصبح بذلك مجرد شخص عادي ينقل كل ما يصله من اخبار دون تدقيق وتمحيص ويصدق كل ما يسمعه من روايات على انها حقيقة واقعة، وليس بهذا يدرس أو يكتب التاريخ ومن جهة أخرى يجب على المؤرخ أن يكون متزنا في شكه وواعيا في حسه النقدي أي بعبارة أخرى عليه الا يعالي في الشك والنقد الى درجة يمكن أن تفقده الاتزان في الحكم فالاتزان من صفات العلماء والمؤرخ هنا أحوج ما يكون اليها في عمله الذي يتناول النقد والتجريح ليكون حكمه صائبا في الوصول الى ما يبغيه من اتهام وتبرئة وصولا الى الحقيقة التاريخية.

٣- ومن المزايا والصفات الأساسية للمؤرخ عدم التحيز والتجرد وهي مطلوبة في كل علم ومفروضة على كل باحث ولكنها أيسر تحقيقا في العلوم الطبيعية منها في العلوم الاجتماعية فليس من اليسير على المؤرخ أن يتجرد عندما ينظر الى ماضي امته ونصيبها من الحضارة وما حققت من انجازات أو ما أصابها من وهن وانتكاس، وقد حاول بعض المؤرخين الوصول الى هذا الهدف الصعب من أمثال رانكة زعيم المدرسة العلمية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي الذي هدف هو واتباعه الى الموضوعية المطلقة والتجرد التام في عرض الوقائع التاريخية. ولكن ليس المقصود هنا بالتجرد صفته السلبية، التي تتضمن التخلص من كل شعور او فكر او معتقد فما من شخص يستطيع ذلك عمليا بل المطلوب من المؤرخ ان يحرر نفسه ق المستطاع من الميل او الاعجاب او الكراهية لعصر من العصور أو لناحية تاريخية معينة .

٤. وينبغي على المؤرخ التحلي بالأمانة العلمية وأن يكون رائده حب الحقيقة وقولها بشجاعة دون خوف او تردد فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق اصحاب الجاه والسلطة ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الاحيان والتي قد يكون في نشرها عدم رضا بعض الفئات من الناس الذين يعرفهم يمتون اليه بصلة معينة، ولا رقيب على المؤرخ في هذه الحالة سوى ضميره ومن يخرج عن



هذه المبادئ سعياً وراء جاه، او انتفاع مادي او ارضاء لسلطة معينة لايمكن ان يعد مؤرخاً، ان الكشف عن بعض اخطاء الماضي والجوانب السلبية في تراث الامة القومي، يفيد الى حد كبير في السعي الى تجنب عوامل الخطأ في الوقت الحاضر، وربما يعد عدم الكشف عن بعض هذه الاخطاء تضليلاً وبعداً عن المصلحة الوطنية "قد يكون اخفاء الحقيقة التاريخية عملاً وطنياً في بعض الظروف". كما يقول حسن عثمان، حيث التجأت معظم الامم الى مثل هذا الاجراء، ولكن لا بد من اشهار الحقيقة بعد زوال الظروف القاهرة التي ادت الى اخفائها حتى يمكن الاستفادة، منها واستخلاص أكبر قسط من الحقائق التاريخية التي لا يمكن ان يكتب التاريخ دون الوصول اليها.

5. ومن الصفات الضرورية الاخرى للمؤرخ الشعور بالمسؤولية والتواضع ازاء ما يقوم به من اعمال وهو شعور يملأ نفسه نبلاً ويدفعه الى المزيد من العطاء فلا يجوز ان يتصدى الانسان الى دراسة الماضي بروح العبث او عدم الشعور بدقة المهمة التي يقوم بها وخطورة نتائجها، لان ذلك سيعود بأضعف النتائج والضرر على نفسه وعلى الآخرين لأن مهمة المؤرخ صعبة، وعرة المسالك ويجب عليه ان يدرك ذلك قبل سواه كما يجب ان يعلم ايضاً انه مهما توصل الى نتائج ومهما حلل من أسباب فهو لن يستطيع ان يكشف الكثير من الامور التي ماتزال مجهولة امامه وهذا يقوده بالتأكيد الى التواضع الذي يسبغه العلم الصحيح، والذي هو صفة العلماء في كل زمان ومكان بهذا التواضع يرتفع العلماء الى اعلى المنازل، لا في مراتب العلم حسب بل في مراتب التقدم الانساني ذاته وحرى بالمؤرخ الذي لا تقل مهمته صعوبة عن مهمة أيا منهم ان يكون اكثرهم تواضعاً، وأعمقهم احساساً بالمسؤولية الملقاة، على عاتقه .

6. وينبغي على المؤرخ ايضاً ان يبتعد عن حب الشهرة والظهور والا يكتب من اجل الكسب او الحصول على الالقاب والمناصب، فهذه كلها أمور زائلة مؤقتة لا يمكن ان تدوم ولا يبقى سوى ما سطره المؤرخ فهو وحده الذي يكون حكماً عليه وعلى ما أداه لأتمته وستعرف الاجيال اللاحقة ماهية الاسباب التي دفعته الى ما كتب والتي ادت به الى مزالق الانجراف وتحريف الحقائق او تزييفها لقاء مال زائل أو منصب عابر، ان مهمة المؤرخ الاساسية هي الكشف عن الحقيقة العلمية وهذا بحد ذاته يعدل كل انواع الكسب والالقاب والمناصب فيجب عليه أن يحرص على هذه الحقيقة .

7- وعلى المؤرخ أيضاً ان يكون "ذا عقل واعي مرتب منظم " فهو في هذا شأنه شأن بقية رجل العلم الذين يحتاجون الى هذه الصفة للتركيز على الحقائق التي بين ايديهم، والمؤرخ الذي يمتلك عقلية منظمة أقدر من غيره على تنسيق الحقائق وترتيبها، والافادة منها في الموضوع المناسب، كذلك يكون قادراً على تحديد العلاقة بين حوادث التاريخ في الزمان والمكان والربط بينها في اتساق وتناغم دقيقين وإذا ما افتقد المؤرخ هذه الصفة يصبح مشتت الافكار تضطرب في وجهه الاحداث وتختلط تفصيلاتها فيعجز عن الربط بينها ويفقد قابليته في البحث عن الحقيقة ووضعها في أطارها الصحيح ضمن سياق الاحداث التاريخية التي يدرسها. وازضافة الى الفضائل والصفات الاخلاقية التي المحنا اليها سابقاً ينبغي على المؤرخ .

٨- ان يتحلى بالاحترام التام وعدم التسرع في مهاجمة اي باحث آخر ارتكب من اخطاء قبل دراسة الظروف التي ادت الى تلك الاخطاء ويجب ان يكون اسلوبه من الرد خال من اي تحامل، ولا يهدف الا الى خدمة الحقيقة التاريخية لا غير كذلك يجب أن يكون المؤرخ صاحب احساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال بالقدر الذي يتيح له ان يدرك آراء غيره ونوازع الاخرين .

المصادر والمراجع

١. صفت الشرقاوي , أحب التاريخ عند العرب .
٢. السخاوي , الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .
٣. طه باقر , طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار .
٤. احمد بدر , اصول البحث العلمي .
٥. اسد رستم , مصطلح التاريخ .
٦. عبدالعزيز سالم , التاريخ والمؤرخين العرب .
٧. حسن عثمان , منهج البحث التاريخي .
٨. صلاح الدين المنجد , قواعد تحقيق المخطوطات